## الرد على أبيات سواد بن قارب

ما رُوي عنْ سواد بنِ قارب مِنْ أنَّهُ أنشدَ بينَ يدي رسولِ اللهِ – صلى اللهُ عليه وسلم – أبياتًا منها:

| | |
|---|---|
| فَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لا شَيْءَ غَيْرُهُ | وَأَنَّكَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبِ |
| وَأَنَّكَ أَدْنَى الْمُرْسَلِينَ وَسِيلَةً | إِلَى اللَّهِ يَا ابْنَ الأَكْرَمِينَ الأَطَايِبِ |
| وَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لا ذُو شَفَاعَةٍ | سِوَاكَ بِمُغْنٍ عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبِ |

قالوا: لم ينكرْ عليه رسولُ اللهِ – صلى اللهُ عليه وسلم – قولَه: "أدنى المرسلين وسيلةً"، ولا قولَه: "وَكُنْ لي شفيعًا".

### الجوابُ عَنْ هذين البيتين مِنْ ناحيتين:

### أولًا: ناحية الإسنادِ:

قدْ رُوي خبرُ سواد بن قارب في صحيحِ البخاري في سؤالِ عمرَ بنِ الخطابِ له عَنْ إسلامِه، وما كانتْ تأتي به الجنُّ، وإخبارِها له ببعثةِ النبيِّ – صلى اللهُ عليه وسلم –.

ولا يوجدُ في الصحيحِ محلُّ الشاهدِ، وأما الطرقُ التي فيها محلُّ الشاهدِ فكلُّها واهيةٌ جدًّا، وهذه الطرقُ هيَ نحو ستة طرقٍ، وإليكَ بيانُها:

أ– ما رُوي مِنْ طريقِ علي بن منصور الأنباري، عن عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي، عن مُحَمَّد بن كعب القرظي قالَ: ((بينما عمرُ بنُ الخطابِ – رضيَ اللهُ عنه – ذاتَ يومٍ جالس ...)) فذكرَ سؤالَ عمرَ له عنْ كهانتِه في الجاهليةِ، وفي آخرِه أنَّه أتى النبيَّ – صلى اللهُ عليه وسلم – فأنشدَه شعرًا وفيه البيتان[1]، وهذا الإسنادُ فيه عدةُ عللٍ:

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، (٣/٦٠٨-٦١٠)، والبيهقي في الدلائل، (٢/٢٥٣)، وأبو يعلى في معجمه، ص(٢٦٣) رقم: (٣٢٩)، وعزاه إليه ابنُ كثير في البداية، (٢/٣٠٩)، والطبراني في الكبير، (٧/١٠٩-١١١) رقم: (٦٤٧٥)، والأحاديث الطوال، (٢٥/٢٥٦-٢٥٩)، وأبو نعيم في الدلائل، (١/٣١-٣٢)، والأصبهاني في دلائل النبوة، ص(١٣١-١٣٢) رقم: (١٤٤).

١- علي بن منصور مجهولٌ كمَا قالَه الذهبي[٢].

٢- عثمانُ بن عبد الرحمنِ الوقاصي متفقٌ على تركِه كمَا قالَه الذهبي أيضًا[٣].

٣- الانقطاعُ بين مُحَمَّد بن كعب القرظي وعمرَ بنِ الخطاب؛ إذْ ولادةُ مُحَمَّد بن كعب في سنةِ (٤٠) على الصحيحِ كمَا قالَهُ الحافظُ[٤]، فلمْ يدركْ قصةَ عمرَ مع سواد بن قارب - رضيَ اللهُ عنهما -؛ ولهذا قالَ الحافظان الذهبي وابنُ كثير - رحمهُما اللهُ تعالى - أنَّ هذا الطريقَ منقطعٌ[٥]، وذكرَ الهيثمي هذا الطريقَ وطريقًا آخر ثُمَّ قالَ: (وكلا الإسنادين ضعيفٌ)[٦].

فتبينَ مما سبقَ أنَّ هذه الطريقةَ واهيةٌ جدًّا؛ لاجتماعِ هذه العللِ الثلاثةِ فيها، إذْ الواحدةُ منها كافيةٌ لإسقاطِه عَن الاعتبارِ فكيفَ وهيَ مجتمعةٌ؟!

ب- مَا رُوي منْ طريقِ سعيدِ بن عبيد اللهِ الوصافي، عن أبيه عن أبي جعفر مُحَمَّد بن علي وهوَ الباقر، قالَ: (دخلَ سوادُ بن قارب السدوسي على عمرَ بنِ الخطاب بِهِ ...) وفيه قولُه: (وإنَّكَ أدنى المرسلينَ وسيلةً، وليس فيه فَكُنْ لِي شفيعًا ...)[٧]، وهذه الطريقةُ فيها عدةُ عللٍ أيضًا.

١- سعيدُ بنُ عبيدِ اللهِ الوصافي ضَعَّفَهُ أبو حاتم، وذكرَهُ ابنُ حبان في الثقات[٨]، ومن المعروفِ تساهلُ ابنِ حبان في توثيقِ المجاهيل.

٢- أبوه عبيدُ اللهِ الوصافي تركهُ الفلاسُ والنسائي وابنُ حبان، وضعَّفَهُ ابنُ معين وأبو زرعة وأبو حاتم

---

(٢) السيرة النبوية، الذهبي، ص(١٣١).

(٣) التخريج السابق.

(٤) التقريب، ابن حجر، (٦٢٥٧).

(٥) تلخيص المستدرك، الذهبي، (٦٠٩/٣)، والسيرة النبوية، له، ص(١٣١)، والبداية، ابن كثير، (٣١٠/٢).

(٦) مجمع الزوائد، الهيثمي، (٢٥٠/٨).

(٧) رواه الخرائطي في هواتف الجان، ص(١٤٨) رقم: (٣)، وأورده الحافظ في الفتح، (١٧٩/٧)، وعزاه إلى ابن أبي خيثمة وغيره، كما عزاه في الإصابة إلى ابن أبي خيثمة ومُحَمَّد بن هارون الروياني، (٢١٩/٣) رقم: (٣٥٨٥)، كما عزاه ابنُ كثير في البداية إلى الخرائطي، (٣١١/٢).

(٨) الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، (٣٨/٤)، وثقات ابن حبان، (٢٦٤/٨)، والميزان، الذهبي، (١٥٠/٢)، والمغني، (٣٨٠/١).

وغيرُهم[٩].

٣- الانقطاعُ بينَ أبي جعفر الباقر وعمرَ بنِ الخطاب؛ فإنَّ أبا جعفر وُلِدَ وَالِدُه الذي هو زين العابدين بعدَ وفاةِ عمرَ فضلًا عنه[١٠].

فتبينَ بهذا أنَّ هذا الطريقَ ضعيفٌ جدًّا لا يصلحُ للاعتبارِ والاعتضادِ، وبما تقدَّمَ يُعْلَمُ أنَّ قولَ الحافظِ في الفتحِ: (وهما طريقان مرسلان يُعَضِّدُ أحدُهما الآخرَ)[١١] فيه نظرٌ؛ إذْ أنَّ كلًا منهما إسنادُه ضعيفٌ جدًّا فكيفَ يصلحُ للاعتضادِ؟! إلا إنْ أرادَ الحافظُ أصلَ القصةِ؛ لورودِها في الصحيحِ، دونَ الزيادةِ التي في الطريقين المرسلين.

جـ- ما رُوي مِنْ طريقِ زياد بن يزيد بن بادويه أبو بكر القصري قالَ: حدثنا محمدُ بن تراس الكوفي قالَ: حدثنا أبو بكر بن عياش عنْ أبي إسحاق عن البراء قالَ: (بينما عمرُ ... إلخ) وفيه البيتان، وفيه: أنك أدنى المرسلين شفاعةً بدل وسيلةً[١٢]، فهذا الإسنادُ فيه عدةُ مقادح:

١- أبو بكر القصري زياد بن يزيد مجهولٌ.

٢- محمدُ بن تراس الكوفي كذلكَ مجهولٌ، قالَ ذلكَ فيهما الذهبيُّ وسيأتي نَصُّ كلامِه.

٣- أبو بكر بن عياش ثقةٌ إلَّا أنَّه لما كبرَ ساءَ حفظُه[١٣].

٤- وأبو إسحاق هو السبيعي، ثقةٌ إلَّا أنه مُدَلِّسٌ وقدْ اختلطَ[١٤] ولمْ يصرحْ بالسماعِ، كمَا أنَّ سماعَ أبي

---

(٩) الكامل، ابن الأثير، (١٦٣٠/٤)، والمجروحين، ابن حبان، (٦٣/٢)، والميزان، الذهبي، (١٧/٣)، والتهذيب، ابن حجر، (٥٥/٧).

(١٠) قال الذهبي في زين العابدين: وُلد في سنة ثمان وثلاثين ظنًّا، وكان يوم كربلاء (٢٣ )سنة، اهـ، سير أعلام النبلاء، (٣٨٦/٤).

(١١) الفتح، ابن حجر، (١٧٩/٧).

(١٢) رواه البيهقي في الدلائل، (٢٤٨/٢-٢٥١)، وعزاه إليه ابنُ كثير في التفسير، (١٦٧/٤-١٦٨)، ووقع في إسنادِه تصحيفٌ، وعزاه في البداية، (٣١٢/٢) إلى ابن عساكر أيضًا.

(١٣) التقريب، ابن حجر، رقم: (٧٩٨٥).

(١٤) الكواكب النيرات، بركات الخطيب، (٤١)، ص(٣٤١).

بكر بن عياش منه ليسَ بالقوي كمَا قالَه أبو حاتم[١٥]، وهذه العللُ الثلاثُ الأخيرةُ ربما يُستغنى عنها لأنَّ الحملَ على الضعيفِ أولى مِن الحملِ على الثقةِ.

ولهذا لم يتعرضْ لها الذهبي، بلْ حملَ على العلتين الأوليتين، فقالَ: (هذا حديثٌ منكرٌ بالمرةِ، ومحمدُ بن تراس وزيادُ مجهولان لا تُقبلُ روايتُهما، وأخافُ أنْ يكونَ موضوعًا على أبي بكر بن عياش، ولكنَّ أصلَ الحديثِ مشهورٌ)[١٦]، يريدُ قصةَ سواد بن قارب مع عمرَ بنِ الخطاب – رضيَ اللهُ عنهما – وليسَ فِي أصلِ الحديثِ البيتان المذكوران، وهذه الطريقةُ لا تصلحُ للاعتبارِ، فقدْ خافَ الذهبي أنْ تكونَ موضوعةً.

د- ما رُوي مِنْ طريقِ الفضلِ بن عيسى القرشي عنْ العلاء بن زيدل عَنْ أنس بن مالك، فذكرَ القصةَ بطولِها، وفي آخرِها قولُه: (فَكُنْ لِي شفيعًا يومَ لا ذو شفاعةٍ سواكَ بِمُغْنٍ عنْ سواد بن قارب)[١٧]، وهذه الطريقةُ فيها العلاءُ بن زيدل، قالَ فيه ابنُ المديني: يضعُ الحديثَ، وقالَ البخاري والعقيلي وابنُ عدي: منكرُ الحديثِ، وقالَ ابنُ حبان والحاكمُ: روى عنْ أنس نسخةً موضوعةً[١٨].

وهذه الطريقةُ في غايةِ الضعفِ لا تصلحُ للاعتضادِ كمَا هوَ واضحٌ.

هـ- ما رُوي منْ طريقِ محمدِ بن السائب الكلبي عنْ أبيه عن عمرَ بن حفص، وفيه قولُه: (وَكُنْ لي شفيعًا)[١٩]، والكلبي متهمٌ بالكذبِ[٢٠].

و- ما رُوي منْ طريقِ الحسنِ بن عمارة عنْ عبدِ اللهِ بن عبد الرحمن قالَ: (دخلَ سوادُ بن قارب على عمرَ ...) فذكرَ الحديثَ بطولِه[٢١]، فهذه الطريقةُ أيضًا في غايةِ الوهنِ، فالحسنُ بن عمارة قالَ فيه الحافظُ: متروكٌ[٢٢].

---

(١٥) علل ابن أبي حاتم، (٣٥/١)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر، (٣٧/١٢)، وهامش الكواكب النيرات، بركات الخطيب، ص(٣٥٦).

(١٦) السيرة النبوية، الذهبي، ص(١٣٠).

(١٧) عزاه الحافظ في الإصابة، (٢١٩/٢)، وفي الفتح، (١٧٩/٧)، إلى ابن شاهين.

(١٨) الكامل، ابن الأثير، (١٨٦٢/٥)، والمجروحين، ابن حبا، (١٨٠/٢)، والميزان، الذهبي، (٩٩/٣)، والتهذيب، (١٨٣/٨).

(١٩) ذكره الحافظُ ابن كثير فى البداية بدون عزو، (٣١٢/٢).

(٢٠) التقريب، ابن حجر، رقم: (٥٩٠٠).

(٢١) عزاه الحافظ في الإصابة، (٢٢٠/٣) إلى الحسن بن سفيان.

(٢٢) التقريب، ابن حجر، رقم: (١٢٦٤).

فتبينَ مما سبقَ أنَّ هذه الطرقَ كلَّها واهيةٌ جدًّا؛ لأنها لا تخلو مِنْ كذابٍ، أوْ متروكٍ، أوْ مجهولٍ، فمنْ هنا يُعرفُ أنَّه لا يصلحُ الاحتجاجُ بما وردَ فيها من البيتين المذكورين، إذْ تُعَدُّ زيادةُ البيتين روايةً منكرةً لعدمِ وقوعِها في رواياتِ الثقاتِ الذين رَوَوا أصلَ القصةِ ولمْ يذكروا البيتين، هذا ما يتعلقُ بناحيةِ الإسنادِ.

**ثانيًا: ناحية المتنِ:**

وأمَّا ما يتعلقُ بالمتنِ فنقولُ وباللهِ التوفيق: إنَّه لوْ صحتْ هذه الطرقُ فلا دليلَ على المدعي لأمور[٢٣]:

فإنَّ قولَه: "وإنَّكَ أدنى المرسلينَ وسيلةً إلى اللهِ" يحتملُ في معناه أوجهًا:

أظهرها: أنَّه – صلى اللهُ عليه وسلم – أقربُ المرسلين إلى اللهِ منزلةً ورتبةً وقدرًا، وقدْ تقدَّمَ ذكرُ معنى الوسيلةِ، وأنها تُطلقُ على المنزلةِ.

وثانيها: أنَّه وسيلةٌ إلى اللهِ في التبليغِ والرسالةِ، وأنَّ شريعتَه أقربُ إلى اللهِ تعالى مِنْ شرائعَ المرسلين.

وثالثها: أنَّه وسيلةٌ في الدعاءِ للناسِ حالَ حياتِه؛ على معنى قولِه تعالى: **{وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ}** [النساء:٦٤]، ومثلُ ذلكَ كونُه وسيلةً في الشفاعةِ العظمى يومَ القيامةِ.

ولا يُفهمُ منه أنَّه وسيلةٌ بعدَ المماتِ في الحياةِ البرزخيةِ مع تلكَ الاحتمالاتِ الظاهرةِ، فمنْ ادَّعَى فعليه البرهان، والدليلُ إذا دخلَه الاحتمالُ بَطَلَ به الاستدلالُ، لاسيما أنَّ تلكَ الاحتمالاتِ أظهرُ مِن الاحتمالِ المدعي.

وأما قولُه: "وكُنْ لي شفيعًا يومَ لا ذو شفاعةٍ"، فعلى تقديرِ ثبوتِه فمعناه طلبُ الدعاءِ منه – صلى اللهُ عليه وسلم – بالشفاعةِ يومَ القيامةِ بعدَ الإذنِ.

وهذا طلبٌ مِنَ الرسولِ – صلى اللهُ عليه وسلم – ما يقدرُ عليه وهوَ الدعاءُ، فلا يمكنُ أنْ يدَّعِي أنه يدلُّ على طلبِ الشفاعةِ أو الدعاءِ منه في الحياةِ البرزخيةِ.

ومِنَ الأحاديث الواهيةِ التي احتجوا بها[٢٤]: خبرُ مازن بن الغضوب أو الغضوبة، وهو مَا روي مِنْ طريقِ هشام بن الكلبي عنْ أبيه قالَ: (حَدَّثَنِي عبدُ اللهِ العماني: قالَ مازن بن الغضوبة ...)، فذكرَ حديثًا طويلًا، وفيه أنه أنشدَ رسولَ اللهِ – صلى اللهُ عليه وسلم –:

---

(٢٣) انظر في هذا: مصباح الظلام، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل، ص(٢٢٠)، وصيانة الإنسان، محمد السهسواني، ص(٢٨٧-٢٨٩)، والبصائر، أبو حيان، ص(٣٥٦).

(٢٤) احتج به دحلان في الدر.

(إلَيكَ رَسولَ اللهِ خَبَّت مَطيَتي تَجوبُ الفيافي مِنْ عمانَ إلى العَرجِ

لتشفعَ لي يا خَيرَ من وَطئَ الحصا فيغفرَ لي ربي فأَرجعَ بالفَلجِ)[٢٥]

الإسنادُ فيه: هشامُ بن مُحَمَّد بن السائب الكلبي متروكٌ رافضيٌّ[٢٦]، وأبوه الكلبي كذلكَ متروكٌ رافضيٌّ، وقدْ تقدمَ آنفًا.

وقالَ الهيثمي: رواه الطبرانيُّ منْ طريقِ هشام بن مُحَمَّد بن السائب الكلبي عَنْ أبيه وكلاهما متروكٌ[٢٧]، وعلى كُلٍّ فالحديثُ ضعيفٌ جدًّا.

ولوْ صحَّ فالمعنى واضحٌ لا غبارَ عليه، فهو في طلبِ الشفاعةِ مِنَ الرسولِ – صلى اللهُ عليه وسلم – في مغفرةِ الذنبِ، مثل قولِه تعالى: **{وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ...}** [النساء: ٦٤]، وذلكَ في حياةِ النبيِّ – صلى اللهُ عليه وسلم – وهذا ليسَ منْ موردِ النزاعِ.

---

(٢٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير، (٢٠/٣٣٧-٣٣٩)، والأحاديث الطوال، (٢٥) رقم: (٦٢)، والخطابي في غريب الحديث، (١/٤٤٧)، وأبو نعيم في الدلائل، ص(٣٢-٣٣)، والبيهقي في الدلائل، (٢/٢٥٨)، وعزاه الحافظ في الإصابة، (٥/٧٠٤) رقم: (٧٥٩١) إلى ابن السكن وابن قانع.

(٢٦) قالَ الدارقطني وغيرُه: متروك، وقالَ ابنُ عساكر: رافضي ليسَ بثقة، الميزان، الذهبي، (٤/٣٠٤).

(٢٧) مجمع الزوائد، الهيثمي، (٨/٢٤٨).